

## الدرس الثلاثون

### الناس والأنبياء

- المقدمة .
- موقف الناس تجاه الأنبياء .
- عوامل معارضة الانبياء ودواجهها .
- الأساليب التي استخدمت لمواجهة الأنبياء .
- بعض السنن الالهية في إدارة الأم .



## المقدمة

حين يذكر القرآن الكريم الأنبياء السابقين، ويستعرض قصص حياتهم النيرة والباركة، ويزيل غبار التحريف والتشويه العمدي وغير العمدي من صفحات تاريخهم المشرقة؛ يهتم اهتماماً كبيراً بموافق الأمم تجاه الأنبياء (ع).

فمن ناحية، يتعرّض لموافق الناس تجاه أنبياء الله، والعوامل التي دفعتهم لمعارضتهم، ومن ناحية أخرى؛ يشير إلى طرق الهدایة والتربية التي استخدمها الأنبياء، وأساليب مكافحتهم ومواجهتهم لعوامل الكفر والشرك والانحراف، وبنّه على السنن الالهية في إدارة الشعوب والمجتمعات، وخاصة العلاقات والموافق المتبادلة بين الناس والأنبياء، حيث تشتمل على ملاحظات مثمرة وتربيّة رائدة.

وأمثال هذه البحوث - وإن لم ترتبط بصورة مباشرة بالمسائل العقائدية والكلامية - ولكن بما أنها تسلط بعض الأضواء على مسائل النبوة، وتزيل الكثير من الغموض والتعقيد عنها، ومن أجل تأثيراتها الفاعلة والمثمرة في إصلاح الناس وتربيتهم، واقتباس العبرة والموعظة من الحوادث التاريخية المهمة؛ فانها تملك أهمية بالغة، ومن هنا نشير في هذا الدرس إلى أهم هذه البحوث.

### موقف الناس تجاه الأنبياء

حين ينهض الأنبياء الإلهيون لدعوة الناس لعبادة الله وحده<sup>(١)</sup>، وإطاعة

(١) التحل/ ٣٦، والأنبياء/ ٢٥، وفصلت/ ١٤، والاحتفاف/ ٢١.

تعاليمه، والإعراض عن أصنامهم وألهتهم الباطلة، ورفض الشياطين والطواحيت، والابتعاد عن الظلم والفساد والمعاصي والأعمال القبيحة؛ فأنهم سيواجهون بمعارضة الناس لهم ومخالفتهم<sup>(١)</sup>، وخاصة من أمثال حكام المجتمع، وأثريائهم ومترفיהם المتشين والغارقين بحياتهم العابثة اللاهية<sup>(٢)</sup>، والمغرورين بأموالهم ومناصبهم، أو بعلمهم وثقافتهم<sup>(٣)</sup>. إن هؤلاء سيدللون كل جهودهم وقوامهم لمحاربة الأنبياء والوقوف بوجفهم، ويجررون الكثير من الجماعات والفتات الأخرى لاتباعهم، ويصدُّونهم عن اتباع الحق<sup>(٤)</sup>، ولكن وبصورة تدريجية - ستؤمن بالأنبياء الالهيين جماعة قليلة اكثراها من محرومِي المجتمع<sup>(٥)</sup>.

ومن النادر إقامة مجتمع على أساس العقائد الصحيحة، وموازين العدل والقسط وإطاعة أمر الله والأنبياء، كما هو الملاحظ في زمان سليمان (ع) حيث وُجد مثل ذلك المجتمع، وإن كانت بعض تعاليم الأنبياء ستنشق طريقها لحضارات الشعوب وتتفذ إلى جوهر ثقافتهم وتأخذ بالانتقال من أمة لأخرى، وسيقتبس منها الكثير، وأحياناً ستُطرح كأعمال وأطروحات مبتكرة لزعماء الكفر، كما هو الملاحظ في الكثير من الانظمة الحقوقية والقانونية في العالم، حيث إنها مقتبسة من الشرائع السماوية ويطرحها أصحابها كآراء ونظريات مبتكرة لهم، دون أن يُذكر مصدرها ومنبعها الأصلي.

## عوامل معارضة الأنبياء ودوافعها

إنَّ لمعارضة الأنبياء - إضافة للعامل العام، وهو الرغبة بالتحلل واتباع

(١) إبراهيم/٩١، والمؤمنون/٤٤.

(٢) سبا/٣٤.

(٣) غافر/٨٣، والقصص/٧٨، والزمر/٤٩.

(٤) الأحزاب/٦٧، وسبا/٣١ - ٣٣.

(٥) هود/٢٧ - ٣١ و٤٠.

الأهواء النفسية<sup>(١)</sup> - عوامل ودّافع أخرى، منها: الغرور، والعزة بالإثم، والاستكبار؛ التي تبرز كثيراً في أوساط الأشراف والأثرياء والمترفين والطبقات العليا في المجتمع<sup>(٢)</sup>، ومنها العصبيات والالتزام المتشدد بـتقاليد السابقين والأباء والأجداد، والعادات الخاطئة المتفشية بين الشعوب المختلفة<sup>(٣)</sup>، وكذلك يعتبر الحفاظ على المصالح والامتيازات الاقتصادية والمراكز الاجتماعية<sup>(٤)</sup>، دافعاً قوياً للأثرياء والحكام والعلماء لاتخاذهم ذلك الموقف من الأنبياء.

ومن جانب آخر فإن للجهل وعدم الوعي المنتشر في عامة الناس دوره الكبير في سقوطهم في شراك الطواغيت وجبابرة الكفر، وقد أدى تقليد الكبار والأغلبية إلى ركون الناس لأوهامهم ومعتقداتهم، والإعراض عن الدين الذي لم يؤمن به إلا القليل، وخاصة ما يُرى في المتدلين انهم من الأفراد الذين لا يتمتعون بمراكز اجتماعية مهمة، والمنبوذين من زعماء القوم وأغلبية المجتمع، بالإضافة لذلك كله ضغط القوة الحاكمة والمستكبارين<sup>(٥)</sup>.

### الاساليب التي استُخدمت لمواجهة الأنبياء

لقد أستخدم الأنبياء أساليب مختلفة في مواجهتهم لنشاطات الأنبياء وجهودهم:

**أ - الاستهانة والاستهزاء:** - ففي البداية كانوا يحاولون القضاء على شخصية الرسل الالهيين ونفوذهم من خلال الاستهانة والاستهزاء بهم<sup>(٦)</sup>، ليقف

(١) المائدة/٧٠.

(٢) غافر/٥٦، والأعراف/٧٦.

(٣) البقرة/١٧٠، والمائدة/١٠٤، والأعراف/٢٨، ويوسٰس/٧٨، والأنبياء/٥٣، والشعراء/٧٤، ولقمان/٢١، والزخرف/٢٢ - ٢٣.

(٤) هود/٨٤ - ٨٦، والقصص/٧٦ - ٧٩، والتوبية/٣٤.

(٥) إبراهيم/٢١، وهود/٢٧، والشعراء/١١١، وفاطر/٤٧ (هكذا في الأصل والترجمة وربما تكون الآية ٤٠ هي المقصودة إذ سورة فاطر لا تحتوي سوى ٤٥ آية - المصحح).

(٦) الحجر/١١، ويس/٣٠، والزخرف/٧، والمطففين/٢٩ - ٣٢.

عامة الناس منهم موقف اللامبالاة وعدم الاكتراث.

ب - الافتراء والتهم : - وبعد ذلك يستخدمون أسلوب الكذب والتهمة والافتراء ليلصقوا بهم تهمًا بشعة، أمثال إن الرَّسُول (سفيه) أو (مجنون)<sup>(١)</sup>، وحين يأتي بالمعجزة فإنهم يتهمونه بالسحر<sup>(٢)</sup> كما يطلقون على الرسالات تسمية (الاساطير)<sup>(٣)</sup>.

ج - المجادلة والمعجالطة:- وحين يتحدث رسل الله مع الناس بلغة الحكمة والاستدلال، ويأخذون بالحوار معهم بأسلوب المجادلة بالأحسن، أو وعظهم ونصيحتهم وتحذيرهم من مغبة الكفر والشرك والطغيان، وتعريفهم على المعطيات الراخمة للإيمان بالله، وبشارة المؤمنين والصالحين بسعادة الدنيا والآخرة... في مثل هذه الحالات، كان زعماء الكفر يمنعون الناس من الإصغاء لأحاديثهم، ثم يحاولون الجواب عنهم بمنطق غبيٍّ وضعيف، ويحاولون خداع الجماهير بأحاديث منفقة ظاهراً<sup>(٤)</sup>، ومنعهم من اتباع الأنبياء (ع)، وعلى الغالب يتشبثون في أحاديثهم بأساليب القدماء والأجداد وتقاليدهم وعاداتهم<sup>(٥)</sup>، ويواجهونهم بثرواتهم وتفوقهم المادي، ويعتبرون تخلف أتباع الأنبياء ماديًّا وضعفهم؛ دليلاً على عدم صحة معتقداتهم<sup>(٦)</sup>، ثم يتمسكون بعض الذرائع والمسوغات لتقاعسهم وممارساتهم أمثال: لماذا لم يجعل الله أنبياءه وسفراءه من الملائكة؟ أو لماذا لم يتمتع هؤلاء بامتيازات

(١) الأعراف/٦٦، والبقرة/١٣، والمؤمنون/٢٥.

(٢) الذاريات/٣٩، و٥٢ و٥٣، والأنبياء/٣، والقمر/٢.

(٣) الانعام/٢٥، والأنفال/٣١، والنحل/٢٤، والمؤمنون/٨٣، والفرقان/٥، والنمل/٦٨، والاحقاف/١٧، والقلم/١٥، والمطففين/١٣.

(٤) نوح/٧، وفصلت/٢٦، والانعام/١١٢ و١٢١، وغافر/٣٥٥، والاعراف/٧ - ٧١، والكهف/٥٦.

(٥) البقرة/١٧٠، والمائدة/١٠٤، والاعراف/٢٨، والأنبياء/٥٣، ويوسوس/٧٨، ولقمان/٢١.

(٦) يوسموس/٨٨، وسبأ/٣٥، والقلم/١٤، ومريم/٧٧، والمدثر/١٢، والعزمل/١١، والاحقاف/١١.

اقتصاديةً ومعيشيةً بارزة<sup>(١)</sup>؟ وربما بلغ عنادهم إلى هذه الدرجة من الانحطاط بأن يقولوا: لا نؤمن حتى ينزل الوحي علينا أنفسنا، أو نرى الله جهراً، ونسمع كلامه بدون واسطة<sup>(٢)</sup>.

**د - الترهيب والترغيب:** - الأسلوب الآخر الذي ينقله القرآن الكريم عن الكثير من الأمم؛ تهديدهم أنبياء الله وأنصارهم بأنواع العذاب والتنكيل، وبإخراجهم من مدنهم وبладهم، ورجمهم بالحجارة، او بقتلهم<sup>(٣)</sup>. ومن جانب آخر، استخدام وسيلة الاغراء والترغيب، وخاصةً بذل الأموال الطائلة لمنع اناس من اتباع الأنبياء<sup>(٤)</sup>.

**ه - استخدام العنف والقتل:** وأخيراً حين يرون مدى صبر الأنبياء واستقامتهم وثباتهم<sup>(٥)</sup>، ومدى ثبات أنصارهم وأتباعهم الحقيقيين واصرارهم، ومع يأسهم من تأثير وسائل الإعلام وسائر الأساليب المستخدمة في هذا السبيل... بعد ذلك كله يقومون بتنفيذ تهديدهم عملياً، وأستخدام العنف والقوة ضدّهم، فقد قتلوا الكثير من الأنبياء<sup>(٦)</sup> لتحرّم الإنسانية والشعوب من أعظم النعم والمعطيات الإلهية، وأفضل المصلحين والقادة الاجتماعيين.

### بعض السنن الإلهية في ادارة الأمم

إن الهدف الرئيس للأنبياء (ع) وإن كان هو تمكين الناس من الوصول إلى المعرف والمعلومات التي يلزم توفرها من أجل الوصول إلى سعادتهم الدنيوية والأخروية، وسدّ النقص والقصور الناشئ من عقولهم وتجاربهم

(١) الانعام/٧ - ٩، والاسراء/٩٠ - ٩٥، والفرقان/٤ - ٨.

(٢) البقرة/١١٨، والانعام/١٢٤، والنساء/١٥٣.

(٣) ابراهيم/١٣، وهود/٩١، ومریم/٤٦، ويس/١٨، وغافر/٢٦.

(٤) الانفال/٣٦.

(٥) ابراهيم/١٢.

(٦) البقرة/٦١ و٨٧ و٩١، وال عمران/٢١، وآل عمران/١١٢ و١٨١، والمائدة/٧، والنماء/١٥٥.

بواسطة الوحي، وبعبارة أخرى إقامة الحجّة عليهم<sup>(١)</sup> ولكن حين يبعث الأنبياء فإن الله تعالى لشدة رحمته ورأفته على العباد، ومن خلال تدابيره الحكيمية يوفر الأجراء النفسية لتقبل دعوتهم، ليعين الناس على مسيرتهم التكاملية. وبما أن أكبر عامل للنكر والانحراف والإعراض عن الله والأنبياء هو الشعور بعدم الحاجة<sup>(٢)</sup>، والغفلة عن حاجات الخلق الواسعة والشاملة، لذلك وفر الله الحكيم أجواء وأسباباً تدفع الناس للالتفات والتوجه لحاجاتهم وضروراتهم، وإنقاذهم من عقد الغفلة والغرور والعصبية، ومن هنا ربما يتلهم بعض المحن والابتلاءات والمصاعب ليدفعهم ذلك لاحساس بضعفهم وليتوجهوا إلى الله<sup>(٣)</sup>.

ولكنَّ هذا العامل لم يكن تأثيره عاماً وشاملاً، فإنَّ هناك الكثير من الناس وخاصة أولئك كانوا يتمتعون أكثر من غيرهم بامتيازات وامكانات مادية، وقد عاشوا سنوات طويلة حياة الترف واللهو، على حساب الظلم والجور الذي يتزلونه بالآخرين، وكما يعبر القرآن الكريم أنَّهم كالحجارة، بل أشدُّ قسوة.. إنَّ هؤلاء لم يستيقظوا من غفلتهم<sup>(٤)</sup>، بل ظلوا سادرين غافلين، واستمرُّوا على السير في طريق ضلالهم، كمالولم تؤثِّر فيهم مواعظ الأنبياء ونصائحهم وتحذيراتهم.

وحين يرفع الله تعالى عنهم العذاب، وينهي حالة الابتلاء، وفيض نعمه على الناس مرة أخرى، كانوا يقولون «قد مسَّ آباءنا الضرَّاء والسرَّاء»<sup>(٥)</sup>، ويعودون من جديد إلى ظلمهم، وجمعهم للثروات، وتنمية قواهم، غافلين

(١) النساء/٦٥، وطه/١٣٤.

(٢) العلق/٦.

(٣) الأنعام/٤٢، والاعراف/٦٤.

(٤) الأنعام/٤٣، والمؤمنون/٧٦.

(٥) الأعراف/٩٥.

عن أن مثل هذا التوسيع والتکاثر في ثرواتهم وقوامهم شرك وامتحان لله يؤدي بهم إلى الشقاء في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

وعلى كل حال.. حين يبلغ عدد أتباع الأنبياء وأنصارهم إلى درجة يمكنهم من خلالها إقامة مجتمع مستقل، ويتمكنهم الدفاع عن أنفسهم، ومحاربة اعداء الله، فإنهم يؤمرون بالجهاد<sup>(٢)</sup>، وسوف يُصبّ بأيديهم عذاب الله على رؤوس الكافرين<sup>(٣)</sup>، وفي غير هذه الحالة، وحينما لا يكونوا قد بلغوا هذه المرحلة من القوّة، فإن المؤمنين وبأمر من الأنبياء يعرضون عن الكفار ويتجنّبونهم، وسوف يتزلّ العذاب الإلهي من قنوات أخرى على رؤوس الأمة الجاحدة التي لا يؤمنُ فيها أي خير وعوده لظلال الله<sup>(٤)</sup>، وهذه هي السنة الإلهية التي لا تقبل التغيير في إدارة الأمم وتدبرها<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الأعراف/١٨٢ و١٨٣ ، وأل عمران/١٧٨ ، والتوبه/٥٥ و٨٥ ، والمؤمنون/٥٤ - ٥٦

(٢) آل عمران/١٤٦ .

(٣) التوبه/١٤ .

(٤) العنكبوت/٤٠ ، وآيات كثيرة أخرى.

(٥) فاطر/٤٣ ، وغافر/٨٥ ، والاسراء/٧٧ .

## الأسئلة :

- ١ - ما هو موقف الناس تجاه دعوة الأنبياء (ع)؟
- ٢ - اذكر عوامل معارضه الأنبياء ودوافعها.
- ٣ - ما هي الأساليب التي استخدمها معارضو الأنبياء؟
- ٤ - اذكر السنن الالهية في مجال بعثة الأنبياء، وموقف الناس منهم